أولا: مفهوم النمو الحضري

يعرف النمو الحضري بأنه " انتقال الناس من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية بقصد الإقامة الدائمة، كما يقصد به أيضا اشتغال الناس بغير الزراعة".

ويعرف أيضا بأنه" زيادة عدد سكان المدن مقارنة بعدد سكان الأرياف ويمكن أن يحدث هذا نتيجة لهجرة السكان الريفيين إلى المدن الشيء الذي يسبب ارتفاعا مستمرا في زيادة سكان المدينة".

ثانيا: مراحل النمو الحضري في الجزائر

إن المتتبع والمتفحص لظاهرة النزوح الريفي في المجتمع الجزائري يمكن تقسيمها إلى أربع مراحل أثناء الاستعمار وبعد الاستقلال وهي كالآتي:

1- المرحلة الأولى 1954-1962: خلال هذه المرحلة كانت " جميع المناطق الريفية محرمة، وتعرضها للقصف من طرف الاستعمار الفرنسي جعل أهل القرى يفرون منها إلى مناطق أخرى أو إلى المدن، وأصبحت جميع هذه المناطق خالية من السكان المدنيين، ما عدا القليل الذين كانوا ينتمون إلى جيش التحرير الوطني والذين كانوا فارين وليست لهم مساكن معينة "[1].

2- المرحلة الثانية: " كانت خلال السنوات الأولى للاستقلال، حيث عرفت الجزائر هجرة كبيرة لسكان الأرياف باتجاه المدن التي تم تركها من طرف المعمرين، إضافة إلى دخول اللاجئين في البلدان المجاورة (تونس والمغرب) واختيارهم الاستقرار في المدن نظرا لافتقار الريف لأدنى ضروريات المعيشة، ويقول **عبد القادر جغلول** عن ذلك: " ...رافق الاستقلال موجة ثانية وفي هذه المرحلة ينبغي احتلال مكان المستعمر ودخول في عالم كان ممنوعا من الآخر والاستفادة من التحديث المكتسب".

3- المرحلة الثالثة: " وهي مرحلة البناء الاشتراكي بما حملته من مخططات تنموية المخطط الثلاثي (69/67) والمخططين الرباعيين (70-74/73-77) ثم المخططين الخماسيين في الثمانينيات إضافة إلى البرامج الخاصة بالولايات مما أدى إلى تغيرات جذرية في الخريطة الصناعية بإقامة سلسلة من الوحدات الصناعية ومناطق وأقطاب صناعية مهمة مع توسيع شبكة الطرق وإقامة منشآت جامعية فكانت النتيجة أن هزت هذه المخططات الاقتصادية السكان هزة قوية جعلت سكان الأرياف يتوافدون على المدن حيث فرص التشغيل المتوفرة فكان أن هجر الريف أكثر من 1.7 مليون نسمة".

4- المرحلة الرابعة: وهي فترة التسعينيات التي عاش فيها الشعب الجزائري سنوات الجمر حيث لعب "العامل الأمني " العشرية السوداء" دورا بارزا في الفرار الإجباري والنهائي لآلاف العائلات من القرى والأرياف صوب ضواحي المدن والتجمعات الحضرية اعتمادا على إمكانياتها الذاتية وبطريقة غير قانونية

في إقامة بناءات فوضوية وغير لائقة، هذه الحركة كانت لها عدة انعكاسات سريعة ومؤثرة في كيفية توسع مجالات وحدود المدن".

ثالثا: عوامل النمو الحضري في الجزائر

ويمكن إرجاع هذه الحركة الواسعة للسكان من الأرياف نحو المدن تلك القوانين التي " كان لها الأثر البارز أو الأكبر في تشجيع الفلاحين والريفيين على ترك الأرض وبذلك بدأ ترييف المدينة الجزائرية يظهر على النسيج الاجتماعي لها"

بالإضافة إلى فشل الثورة الزراعية التي كان الهدف منها التغيير والنهوض بالريف الجزائري، كما أن الفرد الجزائري " وجد نفسه أمام تجربة وتغيرات سريعة ومتسارعة لم يكن في حالة لتسمح له بالتجاوب معها من كل الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وهو ما عقد الحياة أكثر لديه فاختار الهروب منها والتوجه نحو المدينة وخاصة أن هذه الأخيرة بدأت تشهد انتعاشا اقتصاديا فجائي إثر الشروع في إنشاء المؤسسات الصناعية الكبرى دون مراعاة لليد المكونة والمؤهلة لخوض معركة التصنيع"

إلا أن العامل الاقتصادي لم يكن لوحده كدافع للهجرة الريفية فالعامل الأمني وما شهدته " الأزمة السياسية التي عرفتها الجزائر سنة 1991 إثر توقف المسار الانتخابي وتدهور الوضع الأمني وانتشار ظاهرة الإرهاب كان لها انعكاسات خطيرة على الأرياف في المناطق الساخنة مما أجبر الكثير من سكان الأرياف إلى الهجرة نحو المدن فرارا من المجازر التي ارتكبت في حقهم، فكان أن قدر عدد المهاجرين من المناطق النائية نحو المدن ما يزيد عن 3 ملايين إلى غاية 2001

رابعا: آثار ومشاكل النمو الحضري في الجزائر

1- اختلال في توزيع السكان:

عرفت الجزائر حركة نزوح ريفي واسعة من الهضاب العليا والجبال التلية إلى المدن المدن والسهول بالشمال، وتسارعت هذه الحركة في الفترة الممتدة من 1987 إلى 1998 وشملت 2.5 مليون شخص.

وبهذا أصبحت المجموعة السكانية موزعة عبر التراب الوطني توزيعا غير متوازنا، فثلثا (3/2) السكان يتمركزون في المنطقة الشمالية التي لا تغطي إلا نسبة 4% من التراب الوطني، وربع (4/1) السكان يقطنون منطقة الهضاب العليا التي لا تمثل 9% من مساحة البلاد، وفي المقابل فإن فردا واحدا من بين عشرة يعيش في المنطقة الجنوبية التي تمثل 87% من التراب الوطني، الأمر الذي نجم عنه ضعفا ثقيلا على الموارد الطبيعية والنظام البيئي.

2- اختناق حركة المرور:

اختناق المدن الكبرى والمتوسطة بحركة المرور نتيجة الزيادة المرتفعة في عدد السيارات مقابل التباطؤ في تطوير شبكة الطرق ونظام المرور بالمراكز الحضرة لتلبية متطلبات حركة المرور المكثفة بها.

3- انتشار العنف والجريمة:

تؤكد معظم الدراسات الاجتماعية أن جرائم العنف ارتبطت أكثر بالمدن الكبرى التي تكثر بها الكثافة السكانية وتعبر الإحصائيات على أن نسبة الجريمة ترتفع حيث ترتفع الكثافة السكانية كما يكثر السلوك الإجرامي داخل المدينة في المناطق والأحياء السكنية غير المخططة".وذلك بسبب تعقد الحياة في الوسط الحضري وضعف العلاقات الاجتماعية حتى بين أفراد الأسرة الواحدة وسيطرة النزعة الفردية بالدرجة الأولى عكس المجتمع الريفي الذي يتميز بقوة وتماسك نسيج العلاقات الاجتماعية وانتشار كبير للقيم الجماعية ويقول "**دوركايم**"(**Durkheim**) في هذا الصدد: "المجتمع الريفي يتسم بعلاقة التماسك حيث يتعامل أفراده بطريقة بسيطة تلقائية ويستجيبون لبعضهم ميكانيكيا عكس المدينة، فالعلاقة فيها هي ذات طابع عضوي".

4- غياب هوية المدينة:

نتج عن ذلك واقع جديد أصبحت تتميز به الفضاءات الحضرية التي لم تعد لها هوية المدن بأتم معنى الكلمة بحيث أصبحت المدن التي عرفت حركة نزوح ريفي " تتلقى حالة تحولات غير منظمة، ولا يتم التحكم فيها... حيث أصبحت في حالة أزمة هوية عميقة حيث أصبح الحديث أكثر فأكثر عن "لا مدينة"، لقد صارت المدينة فضاء "للحرمان والرغبات الممنوعة"، وهي تعبر اليوم عن التذمر، والتهميش والإقصاء والتعارض، ولم يعد الفضاء الحضري إلا فضاء لأزمة كاملة من شأنها أن تؤدي إلى انفجار لا يمكن التحكم فيه".

5- تغير النسق القيمي:

كان لهذه الحركة السكانية الواسعة للسكان من الريف إلى المدينة بشكل غير منتظم تأثير في نسق القيم في المجتمع الجزائري، وهذا ما أكده الباحث " **حسان تريكي**" في دراسته " **التحولات في نسق القيم الاجتماعية في المجتمع الجزائري**" أن الفروق الموجودة بين الريف والحضر وما يصاحب الحركة السكانية من تغيرات في الأفكار وسلوك الأفراد ومظاهر استهلاكهم ونمط معيشتهم وأسلوب حياتهم، يمكن القول أن موجات التحضر السريعة والكثيفة التي شهدها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال لها تأثير بالغ

على النسق القيمي السائد، ومن هنا فإن التحضر يعتبر من أهم العوامل المؤثرة في تحول أنساق القيم في المجتمع الجزائري"

6- انتشار الفقر والبطالة:

من بين المشاكل الاقتصادية التي منها المدن الجزائرية الكبرى نتيجة النمو الحضري "أصبحت عاجزة عن ضمان الاندماج الاجتماعي والاقتصادي، لهؤلاء الآلاف من السكان الريفيين النازحين نحو المدن، مما أصبح من الصعب توفير فرص العمل لسكان المدينة الذين يزدادون باستمرار فارتفع بالتالي حجم البطالة، وأن أغلبية المهاجرين يمثلون الطبقة التي عانت من الحرمان والظلم طيلة الفترة الاستعمارية، وأغلب سكان الأحياء القصديرية يعانون من البطالة والفقر"

قائمة المراجع المعتمدة في المحاضرة:

- سناء، روابحي." النمو الحضري وعلاقته بمشكلات النقل الحضري". رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2008-2009.
- جهيدة، نزاري. " عوامل النمو الحضري في المدن المتوسطة". رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2008-2009.
- مصطفى، عوفي وعبد الغني قتالي. "سوسيولوجيا النزوح الريفي في الجزائر". **مجلة العلوم الاجتماعية**، العدد 09، (نوفمبر 2014).
- حسان، تريكي." التحولات في نسق القيم الاجتماعية في المجتمع الجزائري: دراسة سوسيولوجية". أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، 2013-2014.
- رشيد، زوزو." الهجرة الريفية في الجزائر الطاهرة القديمة الجديدة" . **مجلة علوم الانسان والمجتمع**،العدد 06، (جوان 2013).
- مصطفى، عوفي وسهام وناسي." النمو الحضري ومشكلة السكن والإسكان". **مجلة العلوم الاجتماعية**، العدد 07،(جويلية 2014).
- عبد الحميد، بوقصاص." تداعيات الهجرة الريفية، الحضرية والنمو الحضري في الجزائر". **مجلة التواصل**، العدد 26، (جوان 2010).
- باية، بوزغاية." توسع المجال الحضري ومشروعات التنمية المستدامة: مدينة بسكرة أنموذجا". رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2015-2016.

- سعاد، بلحريزي. العنف داخل المدينة وعلاقته بالتحولات الأسرية.Socio.montadarabic.com ، 02 جانفي 2016، الساعة 16:35.

(1) -Hadjidj, Djounid. **Ville et Société en Algérie : ou est donc passé le Sociologue et Société en Algérie.** Coordination et présentation Abdelkader Lakjaa. Alger : Casbah Editions, 2004